المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 16A شباط 2025
No.16A Feb 2025

علم الكلام عند الإمامية في القرن الرابع عشر الهجري - السيد علي البهبهاني انموذجاً

م. تحسين قاسم عكار

الملخص:

شهد القرن الرابع عشر الهجري بروز ظاهرة لافت للنظر في علم الكلام لدى الامامية تمثلت في ظهور شخصيات علمية ومدارس وتيارات فكرية سعت بكل ما أُوتيت من قوة في مناهضة الأفكار الدخيلة التي تسربت إلى المذهب من خلال مناصري الفلسفة والعرفان، واعتبرتها مخالفة لآراء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، ويعد السيد علي البهبهاني احدى القامات العلمية التي بذلت جهوداً جبارة في مواجهة تلك الأفكار الدخيلة، وسعت إلى تنقية المذهب منها.

الكلمات المفتاحية: علم الكلام، عليُ البهبهاني، القرن الرابع عشر، الإمامية

Theology among the Imamis in the fourteenth century AH Sayyid Ali al-Behbahani as a model

Lec. Tahseen Qasim Akar

Abstract:

The fourteenth century AH witnessed the emergence of a remarkable phenomenon in theology among the Imamis, represented by the emergence of scientific figures, schools and intellectual trends that sought with all their strength to oppose the foreign ideas that had seepe into the sect through the supporters of philosophy and mysticism, and considered them contrary to the views of the school of the Ahl al-Bayt (peace be upon them). Sayyid Ali al-Bahbahani is one of the scientific figures who made tremendous efforts to confront those foreign ideas, and sought to purify the sect from them.

Keywords: Theology, Ali al-Behbahani, Fourteenth century, Imamiyyah

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

أما بعد:

يعد ظهور المحقق نصير الدين الطوسي (ت672ه) نقلة كبرى في علم الكلام الإسلامي عموماً والامامي خاصة نظراً لما أحدثه في بُنية علم الكلام إذ سعى إلى تأسيس علم كلام إسلامي يقوم على أسس عقلية برهانية لا تتعارض مع الفلسفة، بل تكون المسائل الكلامية مدمجة في الفلسفة بعد أن رجح دليل الإمكان، وهو دليل الفلاسفة على دليل الحدوث وهو دليل المتكلمين، ودافع بشكل مستميت عن الفلسفة وتأصيل البحث الفلسفي تجاه هجمات المتكلمين، وحاول إبطال الإشكالات والاعتراضات العلمية، واجاب عن الشبه الفكرية حول جملة من الآراء الفلسفية لكبار الفلاسفة الإسلاميين، ويظهر ذلك جلياً من خلال كتابه (تلخيص المحصل) إذ نقد أقوال فخر الدين الرازي (ت606ه) - والذي يعد من أكابر متكلمي الإسلام - تجاه عدة من آراء الفلاسفة، وأثبت فيها بطلان جملة من تلك الأقوال، وكتابه (مصارع المصارع) [1] الذي أجاب فيه على انتقادات الشهرستاني للفلاسفة حول سبع مسائل في كتابه (مصارع الفلاسفة)

وسرعان ما أصبح كتابه الشهير(تجريد الاعتقاد) يمثل كتاب الدرسي الأول لعلم الكلام في أغلب المراكز العلمية في العالم الإسلامي، ومع توالي الشروح عليه من أكابر العلماء، ومن جميع المذاهب الإسلامية بدأت الكتب الكلامية تشرع بالحديث عن مباحث الوجود، وبيان حقيقة الوجود وصفاته

لقد غدا علم الكلام يسير تحت ركاب الفلسفة في هذا العصر، ولم تعد الكتب الكلامية تفترق عن الكتب الفلسفية إلا في اشتمالها على السمعيات، بل وأصبحت بعض المطالب الفلسفية تدخل في مسائل العقيدة في كثير من الأحيان، وصارت مباحث الفلسفة تمثل إحدى موارد علم الكلام

ومع ظهور فلسفة الحكمة المتعالية، والتي أسسها وأشاد بنيانها الفيلسوف صدر الدين الشيرازي(ت1050ه)، والذي يُعد بحق أشهر فلاسفة الدولة الصفوية، بل وأشهر فلاسفة الإسلام في القرون الأخيرة، لقد أقام الشيرازي هذه الفلسفة على ثلاثة مرتكزات فكرية تمثلت بـ(القرآن الكريم والبرهان والعرفان)، وسرعان ما استطاعت من الانتشار في المراكز العلمية حتى غدت بفعل المؤيدين لها تمثل في بعض الأحيان الرأي الرسمي لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، بل صورت من قبل بعض مؤيديها أنها هي الموافقة لكلام أهل البيت (عليهم السلام) ، ولعل أخطر ما شهدته هذه الفترة هو دخول عدة من الأبحاث العرفانية خاصة أفكار وآراء محيي الدين بن عربي (ت538ه) إلى الكتب الكلامية عند الإمامية، بل تسربت بعض مرويات العرفاء والمتصوفة إلى بعض الكتب الحديثية والكلامية، وأضحت مباحث التصوف والعرفان مورداً مهماً من موارد الأبحاث الكلامية

ولكن شهد القرنان الثالث والرابع عشر الهجريان بروز ظاهرة قوية في علم الكلام عند الإمامية تمثلت في بروز تيارات فكرية متعددة يقودها أقطاب من كبار العلماء في نقد تلك الآراء في محاولة لتنقية علم الكلام من تلك الأفكار الفلسفية والعرفانية الدخيلة على الساحة الشيعية، وكذلك ظهور ثلة من الأعلام والعلماء قامت آرائهم على رد ونقض جملة من الأفكار الفلسفية لفلسفة الحكمة المتعالية، وأنها مخالفة للمباني العقلية، كما أنها مخالفة للروايات الشريفة الواردة عن أهل البيت(عليهم السلام) بل قد تتناقض صراحة مع الروايات الشريفة في بعض المطالب العقدية

من أجل ذلك أرتأيت دراسة الآراء الكلامية لأحد أعلام الإمامية في القرن الرابع عشر الهجري، ووقع الاختيار على السيد علي الموسوي البهبهاني لعدة أسباب منها: أنه يعد من كبار أعلام القرن الرابع عشر الهجري، بل ومن مراجع التقليد في عصره، ونظراً للجهود الكبيرة التي بذلها في إثبات بطلان وكشف زيف جملة من تلك القواعد الفلسفية، والتي غدت بسبب المؤيدين لها كأنها من الحقائق التي لا تقبل التشكيك، كما أنه يمثل امتداداً للتيار الذي شيده الشيخ هادي الطهراني[2]، بل إنه يمثل أخر حلقات ذلك التيار الفكري الذي عُرف بالتحقيق والتدقيق في المسائل العلمية المتنوعة، وبنقد ويرد على الأفكار الفلسفية والعرفانية الدخيلة على علمي الكلام وأصول الفقه، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، بل نراهم يؤلفون المؤلفات ويصنفون الكتب في الرد على من خالفهم من العلماء رعايةً للحق والحقيقة النبي آمنوا بها

واتخذت في هذا البحث عدة مناهج: كالمنهج الوصفي في التعريف بأحد أعلام الإمامية وبيان أهم أعماله الفكرية والعلمية وأبرز محطات حياته الشريف، والمنهج الاستقرائي في تتبع آراء السيد علي الموسوي البهبهاني الكلامية في كتبه المتنوعة، وما أبداه من نقود علمية تجاه عدة من المسائل العلمية الشائكة

اشتمل البحث على مقدمة بينت فيها محطات تاريخية في علم الكلام عند الامامية، وأبرز المشكلات التي واجهت هذا العلم، وما بذله علماء الامامية من جهود جبارة في مواجهة الأفكار الدخيلة على المذهب، وثلاثة مطالب: كان الأول منها يتحدث عن علم كبير من أعلام الامامية في عصره، وهو السيد علي الموسوي البهبهاني، والتعريف به وبجهوده الكلامية، والثاني تناولت فيه أهم آراء السيد البهبهاني في التوحيد والعدل، وأما المطلب الثالث، فقد خصصته لآراء السيد البهبهاني في النبوة والإمامة ثم خاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث

المطلب الأول: السيد علي البهبهاني

من أجل التعريف بالسيد علي البهبهاني كان لابد من التعرف على نسبه الشريف ومحل ولادته، والتعرف على أهم شيوخه، وتلامذته، والحديث عن أبرز كتبه ومصنفاته العلمية، وأهم آثاره وأعماله الخالدة، والتي لازالت قائمة إلى وقتنا الحاضر، ولابد من الإشارة إلى أبرز صفاته الخلقية والخلقية وسجاياه التي حباه الله تعالى بها

نسبه: هو السيد علي بن محمد بن علي الموسوي البهبهاني الرامهرمزي الأهوازي، والمعروف عند بين الأعلام بـلقب(الرامهرمزي) نسبة إلى مدينة رامهرمز الواقعة بين بهبهان والأهواز، والتي أستوطنها في أواخر حياته الشريفة بناءً على طلب أهلها منه المكوث عندهم

حياته: ولد السيد علي في مدينة بهبهان إحدى المدن الإيرانية في سنة 1303ه، كان والده السيد محمد مشتغلاً بالكسب والفلاحة، ظهرت على المترجم له منذ صغره أمارات دلت على شدة حبه للعلم والمعرفة، ولذلك

شرع في الحضور عند أعلام بهبهان حتى أكمل المقدمات والسطوح[3] ، وفي سنة 1322ه هاجر إلى النجف الأشرف، والتي تعد المركز العلمي الأبرز في عصره حضر فيها لمدة ستة سنين دروس أكابر علماء الإمامية حتى حاز على الاجتهاد، رجع بعدها إلى وطنه بهبهان سنة 1328ه تزوج خلالها، وبقي مشتغلاً بالإفادة والتدريس والتبليغ، حتى قرر العودة إلى النجف الأشرف، ولكن لم تطل هناك مدة بقائه إلا سنة واحدة بسبب المرض اضطر خلالها العودة إلى وطنه بهبهان، وبقي فيها ملازماً للتدريس والإفادة حتى أصبح علماً من الأعلام، وصار مرجعاً لكثير من أهالي مدينته، وفي سنة 1338ه وجهت إليه دعوة إلى النجف الأشرف من بعض أعلامها، عاد بعدها بعدة شهور من أجل أخذ عائلته والرجوع إلى النجف، ولما تهيأ للسفر تمرضت زوجته في رامهرمز اضطر إلى أن يستوطنها ، وبسبب إلحاح المؤمنين عليه ، ومطالبتهم إياه البقاء عندهم، وافق على البقاء ، ومكث فيها إلى سنة 1362ه مجداً على التدريس والإفادة والتعليم لأحكام الشرع، حتى قرر الذهاب إلى العتبات المقدسة في كربلاء والنجف شرع خلالها في تدريس الأبحاث العالية في الفقه والأصول، وأخذ أهالي رامهرمز يطالبون المرجع الديني الأعلى لدى الامامية في عصره السيد أبي الحسن الأصفهاني[4] عودة السيد البهبهاني إلى مدينتهم لأداء وظائفه الشرعية، وسرعان ما لبى طلب الأهالي، واستقر في المدينة إلى سنة 1370ه إذ انتقل إلى الأهواز، وشرع في تدريس الأبحاث العالية فقهاً وأصولاً في حوزتها الفتية، حتى صار من كبار المراجع وأهل الفتيا، وفي السنوات الأخيرة من عمره الشريف، وبسبب حالته الصحية توزعت أقامته بين الأهواز في فصل الشتاء، وأصفهان في فصل الصيف [5]

وفاته: توفي السيد علي البهبهاني بالأهواز في ليلة 18 ذي العقدة سنة 1395ه، ودفن بمدرسة دار العلم، وهي التي أنشأها لطلبة العلوم الدينية، وأقيمت عليه مجالس العزاء في مناطق متعددة كالأهواز وأصفهان وقم [6]

شيوخه: أخذ وتتلمذ على يد عدة من علماء بهبان والنجف الأشرف من أبرزهم:

1. السيد محمد شاه ناظم الشريعة البهبهاني (ت1370ه) أحد تلامذة الأخوند الخراساني والسيد محمد كاظم اليزدي والشيخ هادي الطهراني
2. الشيخ الميرزا حسن بن حسين البههبهاني (ت +1320ه) أخذ الفقه والأصول عن أبيه وعن السيد المير محمد صالح البهبهاني

أخذ السيد علي البهبهاني عن هذين العلمين في بهبهان في أوائل تحصيله العلمي، وقبل ذهابه إلى النجف الأشرف

3. الشيخ محمد كاظم الخراساني(ت1329ه) الشهير بالأخوند الخراساني[7]، صاحب كتاب (كفاية الأصول) والذي يعد أهم الكتب الأصولية في الحوزات الشيعية، وصار الكتاب درسي في جميع الحوزات الشيعية
4. السيد محمد كاظم اليزدي الطباطبائي(ت1337ه)[8] صاحب كتاب (العروة الوثقى)، والذي يعد من أهم الكتب الفقهية التي صنفت في العصور المتأخرة، إذ أصبح محور الدراسات الفقهية، ومحلاً للنقض والإبرام منذ زمن تأليفه إلى وقتنا الحاضر
5. السيد محسن بن السيد محمد تقي الكوهكمري: كان من مبرزي تلاميذ الشيخ هادي الطهراني ومقرري درسه، وقام مقامه في التدريس والجماعة، وهو أكثر الأساتذة الذين تأثيراً في السيد علي البهبهاني [9]

تلامذته: أخذ عن السيد علي البهبهاني عدة من أعلام العلماء حاز كثير منهم على إجازة الاجتهاد، بل صار بعضهم مرجعاً من مراجع التقليد، ولعل من أبرز تلامذته:

1. آية الله السيد علي العلامة الفاني الأصبهاني
2. السيد محمد رضا الشفيعي الدزفولي(ت 1385ه)
3. السيد علي بن محمد رضا الشفيعي، وهو مقرر الأبحاث الأصولية للسيد علي البهبهاني، وقد طبعت بعنوان (بدائع الأصول)
4. السيد محمد علي الروضاتي له من إجازة
5. ولده عبد الله مجتهد زاده
6. ولده الآخر محمد جعفر مجتهد زاده [10]

كتبه ومصنفاته: صنف السيد علي الموسوي البهبهاني كثير من المصنفات دلت على توغله في العلوم العقلية والنقلية أهمها:

1. مصباح الهداية في إثبات الولاية
2. التوحيد الفائق في معرفة الخالق
3. الاشتقاق
4. مقالات حول مباحث الألفاظ
5. بدائع الأصول
6. الفوائد العلية
7. أساس النحو
8. شرح أساس النحو
9. رسالة عملية بعنوان جامع المسائل
10. حاشية على العروة الوثقى لآية الله العظمى السيد محمد كاظم اليزدي
11. حاشية على وسيلة النجاة لآية الله العظمى السيد أبو الحسن الأصفهاني
12. حاشية على توضيح المسائل لآية الله العظمى السيد البروجردي
13. هداية الحاج في مناسك الحج [11]

أعماله: قام السيد علي البهبهاني بأعمال جليلة وعظيمة أينما حل خلال حياته الشريفة، ومن أبرز تلك الأعمال:

1. بناء المساجد في مناطق كثيرة كالأهواز وياسوج وكهكيلويه وبوير أحمد وأصفهان
2. بناء مدرسة علمية في ياسوج
3. بناء مؤسسة دار التبليغ في الأهواز
4. بناء مدرسة دار العلم في الأهواز، وإلى جنبها مكتبتها الفاخرة، ولازال بعض أحفاده يشرف عليها لحد الآن
5. بناء مستشفى (درمانكاه) في أصفهان [12]

المطلب الثاني: آراؤه الكلامية في التوحيد والعدل

تعرض السيد علي البهبهاني في كتبه الكثيرة إلى نقد جملة من الآراء والنظريات قال بها كثير من المتكلمين والفلاسفة والعرفاء، ووجدها مخالفة للروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) وأيضاً مخالفة للمباني العقلية، ومن أهم نلك المسائل:

1) معرفة الله تعالى: لا شك أن القرآن الكريم والروايات الشريفة تؤكد على أن معرفة الله تعالى أمر فطري، خارج عن الحدين التعطيل والتشبيه، وما بُعث الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) إلى أقوامهم إلا لتأكيد هذه الحقيقة الناصعة، وهذا المصطلح تسرب من العرفان والتصوف إلى علم الكلام في القرون الأخيرة؛ لأن عادة المتكلمين جرت أن تبدأ أبحاثهم بعنوان (إثبات الصانع)، والمعرفة عندهم تتحقق إما الاستدلال العقلي، ولعل من أهم الأدلة التي سلكها المتكلمون دليل الحدوث، وإما عن طريق معرفة آثاره وأفعاله، وذلك عن طريق معرفة الأفاق والأنفس فالعالم المصنوع بهذه الدقة اللا متناهية يحيل العقل أن يوجد إلا من حكيم يعرف حقائق الموجودات ويحيط بها علماً، ومن عرف عن نفسه الحدوث والحاجة لابد أن ينفي عن صانعه وموجده هاتين الصفتين وإما عن طريق معرفة أسمائه وصفاته التي ثبتت عن طريق القرآن الكريم والروايات الشريفة، ولذلك اشتهر عن المتكلمين القول بأن أسماء الله تعالى توقيفية، فلا يجوز لأي أحد أن يضيف لله تعالى أسماً لم يرد بالقرآن الكريم والروايات الصحيحة، وأما معرفة ذات الحق سبحانه، وإدراك كنهه فمما لا سبيل في الوصول إليه، والعقل يقف عاجزاً أمام هذه الحقيقة، ودليلهم في ذلك عدة من الآيات القرآنية والروايات الشريفة منها:

قوله تعالى (**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) طه/110**، وقوله تعالى **(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) الزمر/67**، ومن الروايات ما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): (... فإذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا) [13]، وما روي عنه أيضاً (لم يكلف الله العباد المعرفة، ولم يجعل لهم إليها سبيلاً) [14]

وأما العرفاء والفلاسفة فدليلهم هو الكشف، ويرى كثير منهم أن معرفة ذات الحق وإدراك كنهه ممكنة للبشر، وأما الروايات الشريفة الكثيرة الواردة، فإن النهي فيها إرشادي لمن لا يحسن الورود للمسائل العقلية [15]
والسيد البهبهاني يرى أن مسلك الكشف -على فرض صحته - حجة على صاحبه، ولا وجود لأي دليل قرآني أو روائي يقوم عليه، وأما إحاطة الممكن بالواجب فمحال عقلاً، وأن كل ما يتصوره المخلوق ، ويميزه بوهمه بأدق معانيه من صفات للواجب، فهي مخلوقة مثله ، ومردود عليه [16]

2) حدوث العالم وبطلان أزليته: تعد هذه المسألة من المسائل الشائكة إذ تنازع حولها المتكلمون والفلاسفة، حتى وصل الأمر أن كفَر المتكلمون الفلاسفة؛ لإنكارهم حدوث العالم ووقولهم بالحدوث الزماني للعالم، واستدل متقدمو متكلمي الإمامية على حدوث العالم بدليل الحدوث، وذلك من خلال الاستدلال على (حدوث الأجسام) [17] بينما استدل المتأخرون بدليل التغير، والذي يقع في مقدمتين هما: العالم متغير، وكل متغير حادث، فالعالم حادث، فأما المقدمة الصغرى (العالم متغير)، فهي ثابتة بالضرورة، فالوجدان يشهد أن كل موجود من موجودات العالم متغيرة ، سواء أ كان التغير حسياً كتركب كل جسم من الأجسام من أجزاء، فكل جزء منها متغير عما هو عليه من عدم التركب أو كاختلاف الأحوال الطارئة، فكل منها متغيرة من حال إلى حال أم كان تحليلياً كتركب الموجود من وجود وماهية، فكل ممكن زوج تركيبي من وجود وماهية أو كتركب الأنواع من جنس وفصل وأما المقدمة الكبرى(كل متغير حادث)، فهي من الضروريات عند السيد البهبهاني[18]، وقد ذكر القرآن الكريم استدل نبي الله إبراهيم(عليه السلام) بأفول الكواكب والشمس والقمر على حدوثها ونفي بربوبيتها، نجد أن البهبهاني يرى أن هذا الدليل لا يتوقف على الدور[19] أو التسلسل[20] خلافاً لكثير من المتكلمين الذين يرون أن هذه المقدمة نظرية ، وتتوقف على إبطال الدور والتسلسل لإثباتها [21]

وأما الفلاسفة فالمشهور عنهم قولهم بأن العالم قديم، وليس بمحدث، أي ليس له مبدأ زماني، استناداً إلى قواعدهم الفلسفية التي أصَلوها القائلة بـ(السنخية بين العلة والمعلول)[22]، و(أن المعلوم لا يتخلف عن علته التامة)، والتي تلزم إما قدم العالم أو حدوث الباري[23]، ولذلك نفوا بأن يكون واجب الوجود مختاراً في أفعاله، وأنه موجب، أي لا يتخلف فعله عنه
وقد أبطل السيد البهبهاني قاعدة السنخية بأن العلة قسمان:
الأول: اضطرارية كالنار بالنسبة الحرارة والإحراق، والسنخية بين العلة ومعلولها والأثر والمؤثر بهذا المعنى لازم بالضرورة، فلا يختلف ولا يتخلف
الثاني: اختيارية بمعنى (فاعل الفعل)، وهي بالنسبة للباري تعالى مضافاً لعدم وجود دليل عليها، بل الدليل قائمة على عدمها، وذلك لأن السنخية بين الواجب والممكن غير معقولة في نفسها؛ لأنا ننفي عن الواجب الجوهر والعرض والنقص والاحتياج، وكل من يقول بالسنخية بين الواجب والممكن يلزمه إما إمكان تبدل الواجب إلى بالممكن، وإما إمكان تبدل الممكن بالواجب، وكلاهما باطل بالضرورة [24]

3) إثبات الصانع: يشرع المتكلمون في إثبات الصانع بعد إثبات حدوث العالم، فلابد من صانع أوجد العالم؛ لأنه لا وجود له من قبل نفسه، ولأن الحادث لابد له من محدث لكي يوجد، وإلا استلزم الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل، ولما كان السيد البهبهاني يرى أن هذه القضية ضرورية فطرية، فلا تتوقف على إبطال الدور أو التسلسل [25]

4) صفات الصانع: يقسم علم الكلام عند الامامية الصفات الالهية إلى قسمين هما:
الصفات الثبوتية، وهي بدورها تنقسم إلى صفات الذات (وهي التي يكفي في انتزاعها ملاحظة الذات فحسب) أو هي الصفات التي يوصف بها تعالى، ولا يصح اتصافه بأضدادها كالقدرة والعلم والحياة) [26]، وهذه الصفات هي عين الذات
وصفات الفعل (وهي الصفات التي يتوقف انتزاعها على ملاحظة الغير، أو هي الصفات التي يوصف بها تعالى، ويصح اتصافه بأضدادها كالخلق والرزق والكلام) [27]
وتعددت آراء علماء الإمامية حول صفة الإرادة، فمنهم من يرى أنها من صفات الذات، ومنهم من يرى أنها من صفات الفعل [28]، وأما السيد البهبهاني فإنه يرى أن الإرادة من صفات الفعل، وهو القول المؤيد للروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام)، وفراراً من اللوازم العقلية التي توجب قدم العالم، أو حدوث الباري سبحانه [29]

الصفات السلبية، وهي الصفات التي يتنزه الباري تعالى عن الاتصاف بها كالنقص والحاجة والتركيب والجسمية وغيرها من صفات الممكنات

ولما كان البهبهاني يرى أن الذات المقدسة كاملة بذاتها، ومتصفة بجميع صفات الكمال ومنزهة عن جميع النقائص، فالمراد من أن صفاته عين ذاته هو (نفي الصفات وثبوت آثارها وترتبها على نفس الذات، ولا يعقل أن تكون هناك صفات، وهي عين الذات؛ لأن ذاته (تعالى شأنه) كامل بذاته لا يتطرق فيه النقص والاحتياج حتى يستكمل بالصفات، ولا يعقل أن تكون هماك صفات، وهي عين الذات ضرورة أن الصفات من قبيل الأعراض، وهي عارضة على الذات) [30]

5) **الجبر والاختيار:** تعد هذه المسألة من المسائل العويصة في الفكر الإسلامي إذ تضاربت فيها الآراء وتعددت بين الفرق الإسلامية، بل داخل المذهب الواحد، وذلك لورود آيات قرآنية وروايات شريفة تدل بظاهرها على الجبر وتنفي الاختيار، وتنسب الفعل إلى الله تعالى كقوله تعالى **(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)** الصافات/96 وقوله تعالى **(خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)** البقرة/7، وكذلك ورود آيات قرآنية وروايات شريفة تدل بظاهرها على التفويض ونسبة الفعل إلى الإنسان كقوله تعالى **(فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ)** البقرة/79، وقوله تعالى(كُلُّ امْرِئٍ بِما كَسَبَ رَهِينٌ) الطور/21، ولذلك نجد أن بعض الفرق الإسلامية اعتقدت بالجبر، وأنكرت فعل الإنسان، ونجد بعضها اعتقدت بالتفويض، وأن الأفعال للإنسان، ولا وجود للتدخل الإلهي في هذه الأفعال بينما نجد أن علماء الإمامية تبعاً للروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) آمنوا بنفي الجبر ونفي التفويض، وقالوا بالأمر بين الأمرين، ومن تلك الروايات ما روي عن الصادق (عليه السلام): (قال: قلت أجبر الله العباد على المعاصي؟ قال: لا قلت ففوض إليهم الأمر؟ قال لا قال: قلت: فماذا؟ قال: لطف ربك بين ذلك) [31]

وما روي عن الصادق (عليه السلام): (قال: لا جبر زلا تفويض ولكن أمر بين أمرين؟ قال: قلت: ما أمر بين أمرين؟ قال: مثل ذلك رجل رأيته على معصية فنهيته، فلم ينته، فتركته، ففعل تلك المعصية فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية) [32]، وعلى الرغم من اتفاق علماء الإمامية على نفي الجبر والتفويض وقولهم بالأمر بين الأمرين، لكنهم اختلفوا في تفسيرها على أقوال متعددة منها ما قاله السيد علي البهبهاني: هو عنان إطلاق العبد مع تقدير وقضاء في أفعاله بحيث لا يقدر على ما يتجاوز إلى ما يخالف الحكمة والنظام العام [33]، ورفض كلاً من الجبر والتفويض

وأجاب عن بعض الشبهات في المسألة منها:

الأولى: إنه لا يمكن صدور الفعل عن العبد على خلاف مشيئة الله تعالى، وإلا لزم أن يكون العبد مستقلاً في قدرته.

والجواب: أن مشيئة الباري عز وجل لا تتعلق بفعل العبد حتى يردد أمرها بين تعلقها بإيجاد الفعل أو الترك.

الثانية: أن الشئ ما لم يجب لم يوجد، ففعل العبد أنما يوجد في الخارج بعد وجوبه، ومع وجوبه لا يمكنه تركه، فيكون مضطراً في فعله.

والجواب عنها: أن مجرد وجوب وجود المعلول؛ لأجل وجود علته التامة في الخارج لا يوجب خروجه عن الاختيار، بل يختلف حاله باختلاف علته.

الثالثة: إن ما بالغير لابد أن ينتهي إلى ما بالذات، ففعل العبد لابد أن ينتهي إلى الواجب بالذات، وهو الله سبحانه، فالفعل صادر منه تعالى في الحقيقة، وإن كان العبد محل صدوره.

والجواب عنها: إن انتهاء ما بالغير إلى ما بالذات لا يوجب اضطرار العبد في أفعاله إذ مقتضاه عدم وجود ما بالغير من دونه انتهائه إلى ما بالذات، وأما انتهائه إليه على وجه الاضطرار فلا.

الرابعة: إن الله تعالى عالم بأفعال العباد قبل صدورها، ويستحيل أن يتخلف العبد عما علمه الله تعالى.

والجواب عنها: إن عدم جواز تخلف العبد عن علم الله تعالى لا يوجب اضطرر العبد؛ لأن العلم هو انكشاف المعلوم على ما هو عليه لدى العالم [34]

المطلب الثالث: آراء السيد علي البهبهاني في النبوة والإمامة والمعاد

تعرض السيد علي البهبهاني في مصنفاته إلى جملة من الآراء في مسائل متعلقة بالنبوة والإمامة، ونجد ميزة تظهر لنا بشكل واضح اهتمامه الكبير بمسألة الولاية لأهل البيت (عليهم السلام)، وفيما يلي أهم المسائل التي تناولها في مصنفاته، وأهم آراؤه الكلامية في مسائل النبوة والإمامة:

1. عصمة الأنبياء: من المسائل المهمة في العقائد مسألة عصمة الأنبياء وحدود تلك العصمة، فالمشهور عند الإمامية القول بعصمة جميع الأنبياء والمرسلين من جميع الذنوب والمعاصي، ومن السهو والنسيان [35]، وهذا ما ذهب إليه السيد البهبهاني، وإلا لزم أن يكون التمسك بهم إماناً من الضلالة [36]
2. اتفقت كلمة الإمامية على أن نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنه لا نبي بعده وأنه أفضل الأنبياء والمرسلين، بل أفضل الخلق أجمعين [37]، وهذا ما ذهب إليه السيد البهبهاني [38]
3. معاجز الأنبياء: اتفقت كلمة المسلمين على أن لكل نبي معجزة، وأن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لنبينا محمد (صلى الله عليه وآله) إلى يوم القيامة، واختلف العلماء في وجه اعجازه على أقوال متعددة [39]، ويرى السيد البهبهاني أن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة، وبه تحدى فصحاء العرب وبلغائهم، وأن وجه اعجازه هو فصاحته [40]
4. أجمعت الإمامية إلى أن الإمامة تثبت بالنص لا بالاختيار، وأن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) نص على مولانا علي بن أبي طالب (عليه السلام) من الله تعالى، وأنه أول الأئمة الإثني عشر، وأن الحجة بن الحسن (عليه السلام) هو خاتمهم، وأن الإمامة باقية إلى يوم القيامة ومنحصرة فيهم [41]، وهذا ما ارتضاه السيد البهبهاني في كتبه [42]
5. يرى السيد البهبهاني أن الإمامة والنبوة مرتبتان إلهيتان قد تجتمعان في شخص واحد، كما حصل في إبراهيم الخليل (عليه السلام) فإنه كان نبياً ثم جعلت له الإمامة، وهي أعلى من النبوة [43]
6. أجمعت الإمامية على أن الأئمة معصومون من الذنوب والمعاصي والفواحش والآثام، وقد أمرنا نبينا محمد (صلى الله عليه وآله)ل بالتمسك بالثقلين (الكتاب والعترة) وأنهم لا يفترقان عن بعض إلى يوم القيامة [44]، وقد تبنى السيد البهبهاني هذا القول ودافع عنه في كتبه[45]
7. يرى السيد البهبهاني أن ولاية أهل البيت (عليهم السلام) هي شرط في قبول الأعمال وقبول التوبة والإيمان [46]
8. يرى السيد البهبهاني أن الإمام (عليه السلام) أفضل الأوصياء وأنه أفضل من جميع الأنبياء، حتى أولي العزم من الرسل سوى نبينا محمد (صلى الله عليه وآله)، فإنه أفضل منه [47]

أهم النتائج:

بعد هذه الجولة السريعة في مصنفات السيد علي البهبهاني توصل الباحث إلى أهم تلك النتائج:

1. يعد السيد علي البهبهاني علم من أعلام الإمامية في القرن الرابع عشر الهجري، أخذ عن أكابر علماء عصره
2. تشهد مؤلفات السيد علي البهبهاني على توغله في العلوم العقلية والنقلية
3. ينتمي السيد علي البهبهاني فكرياً إلى تيار (أصحاب المقتضي والمانع) الذي أسسه الشيخ هادي الطهراني، وعرف عن هذا التيار التدقيق والتحقيق في المسائل العلمية
4. أولى السيد البهبهاني موضوعي التوحيد والولاية اهتماماً كبيراً في مؤلفاته
5. قام السيد البهبهاني بأعمال خيرية كبناء المساجد والمدارس العلمية والمكتبات والمستشفيات
6. فند السيد البهبهاني كثيراً من القواعد الفلسفية كـ(السنخية) و(بسيط الحقيقة) و(الوجود الذهني)

هوامش البحث:

[1] مصارع المصارع، أبو جعفر نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي، تقديم وتحقيق ويلفرد مادلونغ، مؤسسة مطالعات إسلامي دانشكاه طهران، طهران، 1383هـ

[2] هادي الطهراني(1253–1321هـ): هو الشيخ محمد هادي بن الشيخ محمد أمين النجفي المعروف بالمدرس، كان فقيهاً أصولياً متكلماً، أخذ عن الشيخ الأنصاري والسيد محمد حسن الشيرازي، حاز على الاجتهاد واستقل بالتدريس على حداثة سنه، عاد إلى طهران ومات فيها، له محجة العلماء والحق اليقين في علم الكلام والرد على الشيخية وغيرها ينظر معجم رجال الفكر والأدب في النجف، الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني: ج856/2

[3] ينظر معجم رجال الفكر والأدب: الشيخ محمد هادي الأميني: ج273/1

[4] أبو الحسن الأصفهاني(1284–1365هـ): هو السيد أبو الحسن بن السيد محمد الموسوي، فقيه وأصولي متتبع أخذ عن الأخوند الخراساني والشيخ موسى كاشف الغطاء والشيخ حبيب الله الرشتي، أستقل بالمرجعية الدينية وأصبح مفتي الشيعة في عصره له: أنيس المقلدين وذخيرة العباد وغيرها ينظر معجم رجالات الفكر والأدب في النجف، الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني، ط2، 1413هـ/ 1992م: ج129/1

[5] بدائع الأصول: السيد علي الموسوي البهبهاني، تقرير علي الشفيعي، انتشارات خوزستان، 1423هـ: 233

[6] المصدر نفسه: 233

[7] الأخوند الخراساني(1255–1329هـ) هو محمد كاظم بن الملا حسين الهروي النجفي فقيه وأصولي، وعالم متتبع، جامع للمعقول والمنقول، أخذ عن الشيخ الأنصاري والسيد محمد حسن الشيرازي، وغيرهم، تخرج على يديه عدد كثير لا يحصى من أهل التحقيق، له كفاية الأصول وحاشية على فرائد الأصول وحاشية على الأسفار وغيرها ينظر معجم رجالات الفكر والأدب، الشيخ محمد هادي الأميني: ج39/1

[8] محمد كاظم البزدي: هو السيد محمد كاظم بن السيد عبد العظيم الطباطبائي اليزدي فقيه وأصولي متضلع، وزعيم ديني كبير، ولد في يزد وقرأ فيها مقدمات العلم ثم مضى إلى أصفهان، وحضر عند علمائها، قم ارتحل إلى النجف الأشرف، أخذ عن الشيخ مهدي كاشف الغطاء والشيخ راضي النجفي وغيرهم، له العروة الوثقى وحاشية على فرائد الأصول وغيرها. ينظر معجم رجال الفكر والأدب: الشيخ محمد هادي الأميني: ج1258/3

[9] ينظر الذريعة إلى تصانيف الشيعة: العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني، دار الأضواء، بيروت، ط3، 1402هأ/1983م: ج383/4

[10] بدائع الأصول: السيد علي البهبهاني: 241

[11] المصدر نفسه: 243

[12] المصدر نفسه: 244

[13] بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط4، 1362 ش: ج264/3 ح33

[14] المصدر السابق: ج222/5 ح26

[15] الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط1، 141هـ/1997م: 55/19

[16] ينظر الفوائد العلية، العلامة السيد علي البهبهاني، مكتبة دار العلم، الأهواز، ط2، 1405هـ: ج393/2

[17] ينظر شرح جمل العلم والعمل، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي، تحقيق الشيخ يعقوب الجعفري المراغي، دار الأسوة، طهران، ط3، 1430هـ: 39

[18] ينظر التوحيد الفائق: 58 والفوائد العلية: ج172/1

[19] الدور: هو توقف وجود الشيء على ما يتوقف عليه وجوده إما بلا واسطة وهو (الدور المصرح)، وأما بواسطة أو أكثر وهو (الدور المضمر) ينظر نهاية الحكمة: السيد محمد حسين الطباطبائي، تحقيق عباس علي الزارعي السبزواري، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط17، 1424هـ: 216

[20] التسلسل: هو ترتب شيء موجود على شيء موجود آخر موجود معه بالفعل، وترتب الثاني على ثالث ينظر نهاية الحكمة، السيد محمد حسين الطباطبائي: 217

[21] ينظر كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي، تحقيق الشيخ حسن حسن زاده الأملي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط10، 1425هـ: 392

[22] السنخية: يراد بها وجود المشابهة والمناسبة بين الخالق والمخلوق، ووجود الإشتراك بينهما في الحقيقة والذات

[23] ينظر نهاية الحكمة، السيد محمد حسين الطباطبائي: 205 و215

[24] بدائع الأصول: علي البهبهاني: 228

[25] التوحيد الفائق: السيد علي البهبهاني: 68

[26] ينظر بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، السيد محسن الخرازي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط10، 1423هـ: ج43/1

[27] ينظر بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، السيد محسن الخرازي: ج43/1

[28] ينظر مسألة الإرادة عند الامامية، تحسين قاسم عكار، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العدد السادس، 2019

[29] ينظر بدائع الأصول، السيد علي البهبهاني: 109

[30] التوحيد الفائق، السيد علي البهبهاني: 72

[31] بحار الأنوار، المجلسي: ج82/5

[32] المصدر السابق: ج18/5 ح27

[33] ينظر الفوائد العلية: السيد علي البهبهاني: ج488/2

[34] المصدر السابق: ج485/2

[35] بداية المعارف الإلهية، السيد محسن الخرازي: ج247/1

[36] مصباح الهداية في اثبات الولاية، السيد علي البهبهاني، دار العلم، قم، ط4، 1418هـ: 83

[37] بداية المعارف الإلهية، السيد محسن الخرازي: ج274/1

[38] مصباح الهداية، السيد علي البهبهاني: 360

[39] ينظر بداية المعارف الإلهية، السيد محسن الخرازي: ج238/1 وشرح جمل العلم والعمل، الشريف المرتضى: 179

[40] مصباح الهداية، السيد علي البهبهاني: 72

[41] ينظر بداية المعارف الإلهية، السيد محسن الخرازي: ج8/2 وشرح جمل العلم والعمل، الشريف المرتضى: 199 وكشف المراد، العلامة الحلي: 495

[42] الفوائد العلية: ج152/1 ومصباح الهداية: 75 و131

[43] مصباح الهداية: 129

[44] ينظر بداية المعارف الإلهية، السيد محسن الخرازي: ج19/2

[45] مصباح الولاية: 82

[46] مصباح الهداية: 94

[47] مصباح الهداية: 230 و360

مصادر البحث:

القرآن الكريم

1. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط4، 1362 ش
2. بدائع الأصول: السيد علي الموسوي البهبهاني، تقرير علي الشفيعي، انتشارات خوزستان، 1423هـ
3. بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، السيد محسن الخرازي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط10، 1423هـ
4. التوحيد الفائق في معرفة الخالق، السيد علي البهبهاني، تعليق الشيخ ماجد الكاظمي، انتشارات الماس، قم، ط1، 1422هـ
5. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني، دار الأضواء، بيروت، ط3، 1402هأ/1983م
6. شرح جمل العلم والعمل، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي، تحقيق الشيخ يعقوب الجعفري المراغي، دار الأسوة، طهران، ط3، 1430هـ
7. الفوائد العلية، العلامة السيد علي البهبهاني، مكتبة دار العلم، الأهواز، ط2، 1405هـ
8. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي، تحقيق الشيخ حسن حسن زاده الأملي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط10، 1425هـ
9. مسألة الإرادة عند الامامية، تحسين قاسم عكار، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العدد السادس، 2019
10. مصباح الهداية في اثبات الولاية، السيد علي البهبهاني، دار العلم، قم، ط4، 1418هـ
11. مصارع المصارع، أبو جعفر نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي، تقديم وتحقيق ويلفرد مادلونغ، مؤسسة مطالعات إسلامي دانشكاه طهران، طهران، 1383هـ
12. معجم رجالات الفكر والأدب في النجف، الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني، ط2، 1413هـ/ 1992م
13. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط1، 141هـ/1997م
14. نهاية الحكمة: السيد محمد حسين الطباطبائي، تحقيق عباس علي الزارعي السبزواري، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط17، 1424هـ